في الشعر العراقي الآن:

"كما يرى النائم".. الكتابة في جوهرها الوحيد

علي عبد الأمير عجام

يحيل نص "كما يرى النائم" للشاعر عماد حسن، المنشور في العدد الأخير لجريدة "تاتو" (منشورات المدى) إلى فكرتين: الأولى تتعلق بجوهر الكتابة الشعرية، وفيما اذا كانت النصوص العراقية الجديدة قد اتصلت بها أو فارقتها، مثلما تحيل إلى فكرة تتعلق بالشاعر عماد حسن ذاته.

عماد حسن

القصيدة التي نشرت في تاتو

وفي الفكرة الثانية، فانه لا يبدو اسم الشاعر مطروقا في "دائرة الشعرية العراقية" المحكومة ببروغاندا تامة، أكثر مما تحكمها المراجعة النقدية المسؤولة، فلا هو يرد ضمن جوقة جيل الثمانينات ولا جوقة التسعينيات، بل هو ظل على حدة، صوتا متفردا لا في مساره الإنساني وحسب، بل في مساره الشعري الخاص، منذ أن قرأت نصوصه في أيام العمل الثقافي والفكري المعارض لنظام الديكتاتور، والتي جمعتنا معا، وشرفني أنني من خلالها عرفت وتنبهت إلى عماد حسن شاعرا على حدة، خارج الجوقة الشعرية التقليدية، كثيرة الضجيج قليلة الانجاز.. انه صوت متفرد، ولكونه خارج الجوقة، فكان عليه أن يدفع ثمن ذلك، والثمن هنا فخر له وليس هنة تحسب عليه.

عماد حسن، كتب الشعر، وما انفك يكتبه، مأسورا بفكرة الكتابة بجوهرها الوحيد: الكشف عن العمق الإنساني في متاهات العيش العراقية، حروبا وموتا، حصارات وفضاضات، هجرات واغترابات، وجدا وشوقا. وليس الموضوع "الصريح" هو ما تصدى له، بل في الأسلوب الذي قارب فيه تلك الأوجاع والشهقات "الصريحة"، فكان أسلوبه واضحا، غير متكلف، لا زوائد لفظية، ولا استعراضات بلاغية، ولا سطو على الآخرين ولا سرقات (عادة ما يزينها نجوم الجوقة بأنها "تناص" تبيحه الكتابة الحداثوية). و "الوضوح" هنا ليس المؤدي إلى "سهولة" البناء اللغوي والصوري والتعبيري عموما، انه يفضي الى "البساطة" والفرق كبير وخارق بين "السهولة" والبساطة".

في نصه " كما يرى النائم"، تعبير عال الحساسية انسانيا، لكن دونما استعراضات "الغموض" الفجة التي قتلت الشعرية العراقية في العقود الثلاثة الاخيرة وصارت من لوازمها "الثابتة"، انه يبدأ من نقطة لتتصل بأخرى اصغر وأخرى ادق وأخرى بالغة الدقة وصولا الى تفصيل يكاد يكون في كثافته، تلخيصا لجوهر الحياة القائم على نسيج العناصر الصغيرة المحتشدة بآلاف المكنونات والمعطيات الفكرية والحياتية ضمن جو عرفاني محض.

"رأيت ثلاث علامات وسط طريق لم يسلكه أحد قبلي/ كل علامة تؤدي إلى طريق مختلفة / وكل طريق تؤدي إلى بيت أخضر صغير /كربيع نبت على قبة منسية / في كل بيت هنالك حديقة حمراء /تشبه ثمرة رمان فاجأها النضوج /وفي كل حبة مدينة لا تنام ولا تصحو / تعيش، كل ساعة، فصولها الأربعة / وكذلك آلاف الأيام التي لا تُرى /ولا تُحس/ ولا تُعاش".

هذا التكثيف المكنون للعناصر: علامة تؤدي الى طريق، والطريق الى بيت اخضر كربيع، وفي كل بيت حديقة حمراء، تشبه ثمرة رمان، وفي كل حبة رمان مدينة لا تنام، لا يبدو متكبرا لجهة اتصاله بما ضرب الله عز وجل مثالاً لنور الإيمان في قلب المؤمن فقال :

"مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ". لكن ما عمل عليه الشاعر، وأحسن فيه صنعا، وجعله يتصل روحا مع النص القرآني، ولا يعيد النسج على منواله، انه تولى التفصيل عند كل عنصر قبل مغادرته إلى عنصر آخر متصل به: " فالطريق، جعله " لم يسلكه احد قبلي"، والبيت صار " كربيع نبت على قبة منسية"، وفي حبة الرمان " مدينة لا تنام تعيش كل ساعة فصولها الأربعة وكذلك آلاف الأيام التي لا ترى ولا تحس ولا تعاش". هنا تبدو الأوصاف جوهرية لسببين: إنها تجعل النص متأثرا بروح وضاءة في النص القرآني ولكنها تبعده عن الإحالات المباشرة لما ورد في القرآن الكريم، وتجعله في أزمة معاصرة هي حيرة الإنسان وتشعباته العميقة حتى لتبدو وكأنها أسرار مكنونة في كل حبة من حبات ثمرة الرمان.

واتصالا مع هذا التأسيس، يتابع الشاعر عماد حسن " وفي كل مدينة جبل من القمح /في كل حبة قمح ألف ألف فم /وفي كل فم ألف ألف أغنية / وفي كل أغنية، لا تنتهي / سكون يشبه ما ينقض الأغنية / وفي كل سكون هنالك إشارة /وكل إشارة تؤدي إلى طريق لن يسلكه أحد بعدي".

هنا الفعل الإنساني، يسبغ على الوصف جوهره الحياتي: حبة قمح يقابله فم، والفم تقابله أغنية، والأغنية يقابلها سكون، والسكون تقابله إشارة، والإشارة تؤدي الى طريق، هو ذاته الذي بدأ معه النص : " رأيت ثلاث علامات وسط طريق لم يسلكه أحد قبلي".

هنا كنت شخصيا كمتلق ناقد، أن ينتهي النص لاكتماله أي لانتهائه بالنقطة التي بدأ بها، بعد رحلة في العناصر وتفصيلاتها حتى الجزئية منها، في رحلة هي صوغ تعبيري عميق للحياة، بوصفها نسيج من عناصر قد لا تبدو متاحة للعين المجردة، مثلما تبدو كذلك صورة الإنسان ذاته.

وفي القسم التالي من النص ، يبدو التكرار وقد أثقل جوهر الكتابة، مثلما الشروحات الزائدة:

"أيقظني صوت أمي، والظهيرة لم ينطفئ بعد لظاها" ، " وأشارت لي بإصبع غائب (أو هذا ما تخيلته) ناحية جرة قديمة"، أو "كانت الساعة المعلقة تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق

(من أين للساعة هذا اليقين بالزمن)"، مثلما أثقل بعض الأخطاء النحوية عليه "وفي فم الجرة ينبت عشباً كثيفاً ولامعاً" والصحيح "ينبت عشب كثيف ولامع". غير انه وإذ يتخلص من هذه الأثقال، يطير خفيفا في تعبيريته: "كانت سبع نحلات متشحات بالأسود"، لنصل مع رفيف الأجنحة السود إلى الموت :" أشارت أمي فيها إلى الموت، وكما يرى النائم، لم أرها بعد ذلك أبداً".

نص الشاعر عماد حسن، وإن بدا شجيا حد الحزن الثقيل، إلا انه يحتفي بأجمل ما في الحياة: الصدق الغني في التعبير عن عيش وإن كشف عن انكسارات كبرى، ولعمري فالصدق هنا هو تأصيل للكتابة ودفاع عن جوهرها الوحيد.

منطقة محررة

▪ نجم والي

بغداد ٢٠١٣ عاصمة للاحتفاء بثقافة الغنيمة

بغداد عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠١٣. أمامنا نموذجان للاستعداد لهذه المناسبة. الأول، فردي أطلقه شباب تحت عنوان "أنا عراقي..أنا أقرأ"، المبادرة هذه التي هدفها "خلق جو من الألفة مع الكتاب يبدأ بالكتاب نفسه"، والتي تشجع أيضا على التبرع بكتاب، لاقت إقبالا كبيرا من قبل الشباب، إذ في الأسبوع الأول وبعد إعلان المبادرة في الفيس بوك انضم للحملة ١٠٠٠ شاب. صحيح أن التجربة هذه سبق وأن انطلقت في تونس وتركيا، لكنها تظل تجربة فريدة من نوعها في العراق، لما يمر فيه من ظروف تعيسة وإرهاب. الشباب يتحدثون اليوم عن النجاح الذي حققوه، خاصة وأن عدد التجمع الأول وصل إلى ثلاثة آلاف شخص قادمين من مختلف المحافظات العراقية، وهو رقم قياسي بالفعل. كرنفال القراءة الجماعية كما أطلق الشباب على احتفائهم الذي سيتم في ٢٩ سبتمبر في حدائق أبو نؤاس على شاطئ دجلة في العاصمة بغداد، سيبدأ من الساعة الثالثة حتى السادسة عصرا، وإذا تحقق الحلم وحضروا جميعهم، فإنهم سيثبتون بأنهم أكبر تجمع مدني في العراق. مبادرة تستحق الإعجاب حقيقة، ولا يسعنا إلا أن نرفع قبعاتنا للشباب هؤلاء الذين باستثناء طلبهم من الأجهزة الأمنية الرسمية أن تحميهم، لم يحصلوا على أي دعم من جهة حكومية أو سياسية. وحسنا فعلوا. الحكومات تأتي وتذهب. الإرهاب يأتي ويزول. وحده الكتاب يبقى. والبذرة التي نثرها شباب الكتاب ستنتج ثمارها بالتأكيد، على عكس النموذج الثاني الذي استعداده للمناسبة محكوم بالفشل مقدما، ليس لأن بذرته ميتة أصلا، أو زائفة، أو على أحسن تقدير ليس لأنه لم ينتج طوال السنوات التي مرت غير الديماغوجية والغباء، بل لسبب بسيط: النموذج الرسمي هذا معني بالغنيمة وحسب، بما ستدر عليه المناسبة هذه من أرباح! الأموال التي رُصدت لن تذهب لإنجاز كل تلك المشاريع "الكبيرة" الخاصة بالمناسبة والتي ما تزال على الورق، الأموال هذه ستنتهي إلى الجيوب! (تجربة النجف عاصمة إسلامية لعام ٢٠١٢ التي ألغيت هي الدليل). ومن يشك في ذلك عليه أن يعمل جردا للإنجاز الثقافي للنموذج الرسمي الفاشل هذا الذي يطلق التصريحات الرنانة لا غير. الدولة العراقية وبشكل حكومة شراكتها "الوطنية" الحالية أو الحكومات التي ولت، لكي لا نتحدث عن الحكومات التي تأتي، تنظر للثقافة بازدراء. وإلا هل من المعقول أن دولة في العالم تحترم نفسها يحتل وزير ثقافتها منصب وزير "بالوكالة" للدفاع؟ أو هل من المعقول أن وزيرا للثقافة فيها جاء أصلا من وزارة للدفاع؟ التفسير المنطقي الوحيد لذلك ليس هو سوريالية الوضع العراقي أو فوضاه، على العكس، إنه تفسير واضح لعسكرة الثقافة العراقية التي بدأت في زمن البعث، وأكملها اليوم نفس الرفاق الذين غنوا للبعث وكتبوا له، تحت ظل حكومة جاءت باسم ديمقراطية قدمتها لهم الدبابات الأميركية على طبق من عسل.

المشكلة هي أن النموذج هذا الذي تربى على أخلاق النظام البعثي وصدام، هو الذي يجلس على رقاب الثقافة اليوم ويفصل المشهد الثقافي على مقاسه. بغداد عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠١٣. كم يبدو العنوان ضخما وكبيرا. لكن كيف؟ كيف تكون بغداد عاصمة للثقافة وليس فيها دار نشر وسينما ومسرح؟ شوارعها التاريخية ما تزال خرائب ومراكز للأزبال، شارع الرشيد مثلا؟ لكي تكون بغداد عاصمة للثقافة ومؤهلة لهذا المقام عليها أن تلبي كل الشروط العملية لذلك، أن تكون في حيازتها صالات أدبية، صالات للموسيقى، دار للأوبرا، صالات للسينما والمسرح. كل ذلك غير موجود اليوم في بغداد، وإن وُجد فلا علاقة له بوزارة ثقافة أو دفاع! من يقرأ عن المشاريع والمبالغ التي رُصدت للمناسبة سيضع يده على قلبه. المبالغ الخيالية تتحدث عن طبع ١٠٠٠ كتاب، عن إنشاء دار للطفل وأخرى للأوبرا، عن إنتاج أفلام سينمائية وعروض مسرحية ونصب تماثيل... أمر غريب، ثلاثة شهور أمامنا حتى عام ٢٠١٣ ولا برنامج هناك ولا حركة بناء! الواقعية تفرض طبعا تأجيل الاحتفالية حتى إنجاز كل تلك المشاريع، لكن الواقعية تقول أيضا، أن الثقافة السائدة في العراق اليوم، هي ثقافة الغنيمة، عام ٢٠١٣ هو مناسبة واضحة لنهب المال العام. لن يكون هناك ١٠٠٠ كتاب، لن تكون هناك دار أوبرا، ولن يكون هناك نصب أو تمثال، لا فيلم يُنتج ولا مسرح، لا وفود ثقافية ستدعى ولا بطيخ. لكن لقول الحق وللإنصاف، الإنجاز الوحيد التي أنجزته "حكومة الشراكة الوطنية" "العظيمة" استعدادا لهذه المناسبة هو إرسالها وحدة عسكرية خاصة في ليلة الرابع من سبتمبر الماضي للهجوم على نادي الأدباء، على نادي السينمائيين، وعلى نوادي النخبة والأقليات في بغداد، تكسير الكراسي وقلب الموائد على رؤوس الجالسين وضربهم وسرقتهم باسم إثم شرب الخمر! أمر لم يفعله حتى صدام، بل لم تفعله حتى إيران، فعلى مدى الثمان سنوات، وطوال حربها مع العراق لم تقصف إيران معملا للعرق أو للبيرة ذات يوم!

يُنشر المقال بالتزامن مع نشره في صحيفة تاتز الألمانية الواسعة الانتشار

فرقة "طيور الجنة" الأردنية تحلّق في سماء أربيل

أربيل / المدى

اكتظ ملعب فرانسو حريري الدولي في أربيل بأكثر من ٢٠ ألف متفرج من الاطفال وعوائلهم لمشاهدة الحفل الفني الغنائي الذي ابتدأ في الثامنة من مساء الاربعاء .

واعضاء فرقة طيور الجنة جميعهم من الاردن وفلسطين وبينهم مغن عراقي واحد يحمل شهادة دكتوراه في العلوم الاسلامية. وتختص الفرقة باداء اغاني الاطفال باللغة العربية، وكلها اغان هادفة ، وتبث عبر قناتين فضائيتن تمتلكهما الفرقة.

وقد ازدهى الملعب بالاعلام العراقية والكردستانية ، وشهدت الحفلة تفاعلا ملحوظا من قبل الاطفال عربا وكردا الذين حضروا الاحتفالية مع عوائلهم، وقد اضطرت عشرات العوائل الى البقاء خارج مدرجات الملعب بسبب عدم استيعاب المدرجات للحضور الكثيف لهم واكتفت هذه العوائل بالانتظار والاستماع الى الاغاني من خارج الملعب وقضاء ثلاث ساعات في تناول المرطبات وشراء البلونات لأطفالهم، وقام المنظمون في الساعة الاخيرة من الاحتفالية بفتح أبواب الملعب أمام الجميع بدون تذاكر دخول التي وصل سعرها الى ٢٥ ألف دينار فيما كان سعر مبيعها في الاسواق صباح اليوم نفسه ثمانية آلاف دينار فقط !

وعبّر إبراهيم السيلاوي مدير البرامج في فرقة "طيور الجنة"، عن سعادة فرقته لوجودها في اقليم كردستان العراق. وصراحة كنا نتوقع وجود جمهور كبير للفرقة من خلال الرسائل القصيرة التي كانت تصل الى القناة ولكن لم نكن نتوقع ان يكون بهذا المستوى، اذ ان الجمهور اضعاف ما كنا نتوقع. وقدمت الفرقة بعد ان ارتدى جميع افرادها اللباس الكردي التقليدي اغنية باللغة الكردية والعربية مهداة لاطفال كردستان العراق.

وأضاف السيلاوي: الحضور الجماهيري الكبير حمّلنا مسؤولية اكبر للوصول الى هؤلاء الاطفال الكرد بمجموعة افكار تطبق مستقبلا ضمن خطة معينة.

فيما محمد بشار – احد اعضاء الفرقة الذي يقدم أغاني الى جانب شقيقته ديمة، يعتبر احد ابرز نجوم قناة طيور الجنة الفضائية واصبح عضوا أساسيا في فريقها المميز وشارك في الكثير من المهرجانات داخل الوطن العربي و خارجه وشكل محمد بشار مع اخته ديمة بشار ثنائيا ذهبيا لمع نجمةً عبر الشاشة – عبر عن سعادته لهذه الزيارة لاقليم كردستان وقال: نريد ان نسعد الجمهور الكردي ولم نكن نتوقع ان نصل الى الجمهور في كردستان بفعل حاجز اللغة ولكن اكتشفنا ان لدينا مشتركات، والذي فاجأنا هو ان يأتي اطفال لا يعرفون العربية لكنهم يرددون اغانينا باللغة العربية وهذا شيء جميل.

تامورا .. وهذا العالم الموحش!

ترجمة / عادل العامل

لقد ذكّرني تعبير الشاعر رايوتشي تامورا، و هو يطل على القارئ من غلاف كتاب (رايوتشي تامورا : عن حياة ونتاج أحد أساتذة القرن الـ ٢٠) ، بالقليل من صور الشاعر الأيرلندي و. ب. ييتس، و إن من دون النظّارة الأنفية و ربطة العنق. فهناك غطرسة مماثلة و مسافة إلى تامورا، و هو يلقي نظرةً باردة على العالم. و هي نظرة تنعكس في شعره و تنشأ بلا ريب من تجربته، كما يقول ديفيد بَرلي في عرضه النقدي هذا.

لقد ولد تامورا في عام ١٩٢٣، و " كما هي حال الكثير من معاصريه، كان ما يشبه المنشق السياسي و الثقافي في السنوات المؤدية إلى الحرب العالمية الثانية "، كما تقول لنا مقدمة الكتاب، الصادر حديثاً بالانكليزية في الولايات المتحدة. و مع أن الشاعر كان ملزماً بالخدمة في القوات المسلحة اليابانية حين بدأت الحرب، فإنه كان متأثراً كذلك بشكل كبير بترجمة قصيدة ت. س. أليوت الحداثوية العظيمة " الأرض اليباب The Waste Land " حين ظهرت عامَ ١٩٤٠. و بعد الحرب، انظم تامورا إلى شعراء آخرين ليشكلوا جماعة باسم " أريتشي Arechi "، (و تعني باليابانية الأرض اليباب). وكانت الأرض اليباب المجسّدة بهذا الاسم تشير بالطبع إلى تدمير اليابان الذي واجه الشعراء. وكان تامورا واحداً من الأكثر صفاءَ ذهنٍ بين أولئك الذي يتلمسون طريقهم الآن إلى استجابة مناسبة. فقد كانت النغمة التي توصّل إلى تبنّيها منفصلة جداً :

[قصائدي أشياء بسيطة
مثل قراءة رسائل من بلادٍ بعيدة
لا حاجة إلى دموع .]

كما جاء في قصيدته " بلاد بعيدة ". و بدلاً من مسرحة dramatizing تجربة الحرب، فإنه يصوّرها على نحوٍ بارد، منحرف.

وهناك صفاء روحي في هذه القصائد، لكن ليس إشفاقاً على الذات. وهناك أكثر من ٤٥ صفحة مكرسة لمختارات منها على أيدي مترجمين مختلفين. و هذه تلي المقدمة، أما باقي الكتاب، فيتألف من مقالات عن الشاعر و نتاجه، و كتابات نقدية، و تذكّرات شخصية، و أحياناً مع قصائد مترجمة. و هناك صور فوتوغرافية للشاعر في مختلف مراحل عمره. و يمكن القول إن الكتاب عبارة عن توليفة جذّابة. و إحدى قطع الشاعر المشهورة عنوانها "أربعة آلاف يوم و ليلة "، و تلك تقريباً المدة منذ أن انتهت الحرب، و قد كتبها عامَ ١٩٥٦ :

[من أجل أن نُنجب قصيدة
لا بد من أن نقتل أولئك الذين نحبهم
تلك هي الطريقة الوحيدة لإحياء الموتى
وهو السبيل الذي يجب أن نسلكه]

وقد يبدو هذا غريباً و مصيباً بالقشعريرة، لكن، كما يلاحظ كريستوفر دريك في في مقالة رائعة عن تامورا، فإن أقوى الكلمات التي سمعها الشاعر على الإطلاق هي تلك التي أعلنت بداية الحرب الباسفيكية، و ، فيما بعد، خاتمتها حين استسلمت اليابان.

والمشهد موحش في أعقاب الحرب، لكن الشاعر يراه بوضوح :

[في خيالك الأعمى
هذا العالم برّيةٌ للصيد
حيث أنت صياد في الشتاء
تحاول على الدوام أن تغلق على قلب فرد]

ويستمر قائلاً "أنت لا تثق بالكلمات " في قصيدة " سطر رقيق "؛ و مع هذا، فإن اللغة هي الأداة الوحيدة في متناوله. و مواجهة الخواء، التجربة المختلفة كلّياً، تتطلب لغةً جديدة، و هذا ما يحاول تامورا صياغته بشكلٍ واضح.

إن من الصعب، في الترجمة، بالنسبة لنا تثمين الطرق الجديدة علينا، لكن المقالات المصاحبة تقدم لنا العون هنا. فالكاتبة ميهو نوناكا، مثلاً، تناقش مفصّلاً بعض القصائد النثرية الأخّاذة، مكمّلةً التعليقات عليها بواسطة الناقد البارز أوكا ماكوتو. و هكذا يتوسع المجلد، مع المساهمات المتعلقة بالشاعر و أدبه. و تصبح طبيعة صعوبة الشاعر و الأسئلة المتعمقة التي يطرحها ميتافيزيقية تقريباً. و يضخم لورنس ليبرمان، و هو شاعر أميركي، هذه الصورة بتقرير عن لقاءاته مع تامورا في اليابان. و هناك قصيدتان ممتعتان قرب نهاية المجموعة، إحداهما في توديع ليبرمان عند رحيله، و الأخرى تصف زيارةً له إلى الشاعر الانكليزي و. هـ. أودن في نيو يورك.

و حتى هنا ، مع هذا، هناك رفض للعاطفية، و هو ما يستمر حتى النهاية. و لم يتيسر لنا أن نعلم، إلا في المقالة النهائية، أن تامورا قد مات في عام ١٩٩٨. و تخبرنا تاكاكو لينتو، و هي محررة الكتاب أيضاً، أن الشاعر لم يكن راغباً في أن يعيش إلى القرن الجديد، و هكذا حصل على ما أراد.

عن / The Japan Times